مع أنصار الاستغراق فى التجديد إلى صياغة مصطلحاتهم والأخذ بها ، وكأنها تظل مرهونة لدينا بدلالات التضمين المعنوى أو الاقتباس ، أو الاستشهاد ، وفى كل الأحوال تظل الغاية ثابتة عند حد تعلُّقها باستكناه ما وراء النص من موروثات يمكن التوقُّف عندها ، ويحسن تأمل قيمتها فى إثراء النص مع الإبقاء على خصوصية التجربة وتفرُّدها فى كل الأحوال ، ولا مانع - عندئذ - من اكتشاف مذهب الشاعر فى الحياة ، أو التوقف عند زاوية اختياره لفضاء نصه من جراء استيعاب تجربته ، وخلاصة حواره مع عالمه ، فهو يعيش تجربته بكل أبعادها واقعا وحلما ، متخذا من قصيدته وسيلة كبري لاستيعاب الموقف وكشف أبعاد جوانبه ، مع الاحتفاظ أيضا بخصوصية معاناته لحظة الإبداع ، مهما تزاحمت عليه مواد القديم ، وأيًا كانت درجة شغفه أو انبهاره بها .

فإن انتهينا إلى التسليم بقيام تجربة المعارض من خلال فكرة « التناص» بقى أمامنا أن نتبناها ونذود عنها خروجا بها عن منطقة الاتهامات التى لحقت بها ، وكأن المتأخر حين استوحى من المتقدم كان فى حاجة إلى من يستحثه علي صياغة عمله ، أو إخراجه على النحو الذى صاغه من خلاله ، وهو قول لا يتسق مع جوهر ، « التناص » من حيث الاعتراف بكمون المواد الموروثة في لاوعي الشاعر ، فإن مال إلى العثور على معادله الموضوعى ، أو وجد له نظيرا سُبق إليه ، فلا مانع - إذن - من التعريج على الموروث لينهل منه دون وجل أو تردُّد بل على العكس فقد ضمن إثراء عمله من خلاله وهو الأمر الذى يمتد - بدوره - إلى تبنى الدفاع عن حرارة تجربة المعارض ، حتى لا يخشى أن يكون قد تجاوزها إلى مرحلة ترك القياد لمواد جاهزة ، دون أن يتفاعل معها ، أو أن تتخلَّق بحذافيرها من جديد على يديه ، وهو ما يُطرح - أحيانا - تحت منطق الاتهام بفتور التجربة ، أو التسليم بمؤشر العجز عن بلورتها فى البدء من جديد ، وهو ما ينقضه أيضا توافر ذلك الحس التراثى بشكل جاد وفعّال لازال يطرح على المبدع من خلال ذاته ما يستحق المراجعة والإضافة ، ويضمن له الاستمرارية والبقاء من واقع تسرُّبه إلى العمل لحظة تخلقه وانفتاحه على الوجود من حوله .

وبذا يتحول القول بفتور التجربة إلى منعطفات أخرى ، ويأخذ قياسا مخالفا عبر مواقف إبداعية بعينها ، لانشترط فيها أن تكون صادرة من نقطة البداية ، أو أن تكون واردة من إحدي زوايا التحوُّل ، أومناطق التأثر بهذا الشكل أو من خلال أي من تلك التجليّات .